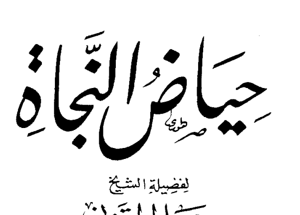


لفضيلة الشيخ

علي القرني

عناية

صبحي رمضان

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة - بالقاهرة
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم



القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين «ناصية شارع الجمهورية»
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس : TLTHRB UN ٢١٧١٩
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

□ بسم اللّٰه الرحمن الرحيم □

الحمدُ لِلَّه قَضَى أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَاه ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَاه ، وَلَا مُظْهِرَ لِمَا أَخْفَاه ، وَلَا سَاتِرَ لِمَا أَبْدَاه ، وَلَا مُضِلَّ لِمَن هَدَاه ، وَلَا هَادِيَ لِمَن أَعْمَاه ، سُبْحَانَه ، خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَسَوَّاه ، وَأَمَرهُ وَنَهَاه ، ثُمّ تَابَ عليه ورحِمَهُ وَاجْتَبَاه ، حَالُهُ يُنْذِرُ مَنْ سَعَى فِيمَا اشْتَهاه ، طَرَدَ إِبْلِيسَ فَأَصَمَّهُ وَأَعْمَاهُ ، وَأَبْعَدَهُ وَأَشْقاهُ ، وفي قِصَّتهِ نَذيرٌ لِمَن خَالَفَ اللَّهَ وَعَصَاه ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له ، أَخَذَ مُوسَى مِنْ أُمّه طِفْلًا وَرَعَاه وسَاقَهُ إِلى حَجْرِ عَدُوِّه فَرَبَّاه ، وَجَادَ عليه بالنِّعَمِ وأَعْطَاه ، فَمَشَى في البَحْرِ وَمَا ابْتَلَّتْ قَدَمَاه وأَهْلَكَ عَدُوَّه بالغَرقِ ووَارَاه ، خَرَجَ يَطْلُبُ نارًا فَشَرَّفَهُ اللَّهُ ونَادَاهُ : ﴿ إِنَّنِي أَنَا

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

[طه : ١٤]

حَمْدًا لِمَن نَبِيَّهُ قَدْ بَعَثَ

فَدَوَّخَتْ بُعُوثُهُ مَنْ قَدْ عَثَى

ثُمَّ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ مَا حَكَتْ

حَمَائِمٌ حَمَائِمًا إِذَا بَكَتْ

وَهَزَّتِ الغُصُونَ أَنْفَاسُ الصَّبَا

فَهَيَّجَ صَبَابَةً لِمَن صَبَا

وَلَمَع البَرْقُ إِذَا الغَيْثُ وَكَفْ

وَطَافَ بالبيتِ مُنيبٌ واعتكَفْ

على أَجَلِّ مُرْسَلٍ وَآلِهِ

وَصَحْبِه وَتَابِعِي مِنْ وَالِه

[الرجز]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

عِبادَ اللّه : إنَّ النَّاظِرَ بعَيْنِ البَصَرِ والبَصِيرَةِ إلى الخَلْقِ يَجِدُ عَجَبًا ، يَجِدْهُمْ غَادينَ جَادِّين ، جَادِّينَ في بَيْعِ أنْفُسِهِم فَفَائِزٌ رَابِحٌ ، ومَغْبُونٌ خَاسِرٌ ، فَرَابِحٌ قَدْ رَجَحَت مِيزَانُهُ وَخَاسِرٌ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُه .

رابِحٌ دَانَ نَفْسَهُ وَحَاسَبَها وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوتِ فَزَكَى ، صَعَد بِهَا وارتَقَى ، وَخَاضَ المَتَاعِبَ وَرَكِبَ الأَهْوَالَ وانْتَقَى ، وإلى العَلْيَاءِ ارْتَقَى فَكَانَ الكَيِّسَ العَاقِلَ الفَطِنَ ذَا الزَّكَى ، خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَنَهَى النَّفْسَ عن الهَوى ، فَآفَةُ المَرْءِ الهَوَى فَمَنْ عَلَا على هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَد نَجَا ، أَعْتَقَ نَفْسَه وَشَرَّفَهَا وَزَكَّاهَا وقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا فَأَرْبِحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لمُبَايِعِ ! وأَعْظِمْ بِهَا

أعظِم بِهَا ! ثُمَّ أعْظِمِ .

وخَاسِرٌ نَسِيَ مَصِيرَه فَانْغَمَسَ في المُحَرَّمَاتِ على غيرِ بَصِيرَة ، أَقْبَل على الدُّنْيَا لَاهِثًا في شَرَهِ بَهِيمَة ، يُجِيدُ السِّبَاحَة من أَجْلِهَا في كُلِّ بَحْر ويَلْبَسُ لَهَا أكْثَر مِنْ ثَوْب ويُمَثِّلُ بها أكثرَ مِنْ دَور ، ويتكلمُ لَهَا بأكثرَ مِن لِسَان ويَرْكَبُ لِهَا كُلَّ مَطِيَّة ، بَاعَ دِينَه بعَرَضٍ مِنها ، وَهَبَطَ والهُبُوطُ هَينٌ ، والهَابطُ لَمْ تَكُنْ نَفْسُه يومًا أبِيَّة ، أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى على اللَّهِ الأَمَاني حَتَّى دَاهَمَتْهُ المَنيَّة فَهَمُّه في اليومِ أَكْلٌ وكِسَا ، وَهَمُّه بالليلِ خَمْرٌ ونِسَا ، خَاب ، عَاجِز ، خَائِر ، بَائِر ، خَسِرَ نَفْسَه فَأَوْبَقَهَا وَأَهْلَكَهَا وبثمنٍ بَخْسٍ بَاعَهَا فَيَالَهَا مِن رَزِيَّة ، دَسَّاهَا وقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ، فكَانَ كَفَاقِئِ عَيْنَه عَمْدًا فَأَصْبَحَ لَا يُضِيءُ له نَهَارُ، بل كانَ

كالحمارِ لا يُذَكَّى فَيَدْفَعُ الجوَعَ وَلَا يُزَكَّى، شَادَ للأُولَى فَهلَّا كان للأُخْرَى يَشِيدُ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

لَا نَعْجَبُ مِن خَطَئِه وَاتِّبَاعِ هَوَاهُ مَعْشَرَ الْمُؤْمِنينَ؛ إِذْ لَا عَجَبَ وَلَا غَرَابَة أَنْ يُخْطِأَ الإِنْسَانُ وتَصْدُرَ مِنْهُ الإِسَاءَةُ والسَّفَهُ والجَهْلُ والظُّلْم فَكُلّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء والمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّه، لكنَّ العَجَبَ مِنْ يومٍ يُدْرِكُ خَطأه وَإِسَاءَتَهُ وسَفَهَهُ وجَهْلَهُ وظُلْمَهُ ثم يَظَلُّ مُتلَبِّسٌ بذلِكَ مُصِرًّا عليه آمنًا مَكْرَ اللَّهِ بِهِ وَوَعِيدهُ له: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

يقولُ ابنُ القيم[١] **رَحِمَهُ اللَّهُ** : الذَّنْبُ بِمَنْزِلَةِ شُرْبِ السُّم والتَّوْبَةُ تِرْيَاقُهُ ودَوَاؤُهُ ، والطَّاعَةُ هي الصِّحَّةُ والعَافِيَة ، وصِحَّةٌ وعافيةٌ مستمرةٌ خيرٌ مِنْ صِحَّةٍ يتخللها مَرَضٌ وَشُرْبُ سُم ، وصِحَةٌ يَتَخَلَّلُهَا مَرَضٌ وشُرْبُ سُم خَيْرٌ مِنْ بَلَاءٍ دَائِمٍ .

مَنْ حَادَ عَنْ حُبِّ الكَمَالِ تَعَنُّتَا
يَتَبَدَّلِ الأَدْنَى وَيَبْقَى الأَحْقَرَا
[الكامل]

فَاغْتَنِم حَيَاتكَ ، عُمْرَكَ فَلِكُلِّ غَادٍ رَوْحَةٌ ولِكُلِّ وَضَّاءٍ سِرَارٌ ، يَا مَنْ بَدَرت مِنْهُ الخَطِيئَة ، وكُلُّنا ذَاكَ ،

---

(١) مدارج السالكين (٢٩٥/١) .

عَوْدَةً ، عَوْدَة إلى أَفْيَاءِ الطَّاعَةِ ، البَابُ مَفْتُوحٌ والظِّلُ والرَّخَاءُ مِنْ وَرَاءِ البَابِ فَالْزَم سُدَّةَ البَابِ وقُمْ في الدُّجى واصْرَخْ بِلِسَان الذُّلِّ مَعَ وَجِيفِ القَلْبِ وَوَاكِف الدَّمْعِ : يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ، هَيَا فالنَّفسُ يَخْرُجُ وَلَا يَعُودُ والعينُ تَطْرِفُ وَلَا تَطْرِفُ الأُخْرَى إلَّا بَينَ يَدَي العَزِيزِ الحَمِيدِ .

فَلَا بُدَّ مِنْ سَاعَةٍ قَاهِرَةٍ ، تكونُ الرُّؤُوسُ بِهَا فَاغِرَة ، إذَا اسْتَوفَت النَّفْسُ مِكْيَالَهَا وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، فَمَا لَكَ مِنْ فُرْصَةٍ للإِيَاب وَلَنْ يَرجِعَ العُمْرُ بَعْدَ الذَّهَاب ، تَقَدَّم فَمَازَال لِلصُّلْحِ بَاب وبالمَوتِ يُغْلَقُ بَابُ المَتَاب : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

[النساء : ٢٧]

رِدِي حِيَاضَ النَّجَا يَا نَفْسُ وَاطَّرِحِي
حِيَاضَ حُبِّ الهَوَى لِلشَّاءِ والنَّعَمِ

[البسيط]

بَادِرْ قَبْلَ أَنْ تُبَادَر ، بَادِرِ بالإقْلَاعِ عن الذَّنْبِ في شُعُورٍ بالأَلَم يُقِضُّ المَضَاجِعَ ويُؤَرِّقُ المَنَامَ وَيُقَرِّحُ الجُفُونَ وَيَزْرَعُ في القَلْبِ الحَسْرَة والنَّدَامَةَ مع عَزْمٍ أَكِيدٍ على اسْتِئْنَافِ حَيَاةٍ صَالِحة نَقِيةٍ تَقِيَةٍ طَاهِرَةٍ ، بَادِرْ ، فإنَّ تَأْخِيرَ التَّوْبَة مِنَ الذَّنْبِ ذَنْبٌ يَحْتَاجُ إلى تَوْبَةٍ ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ [النساء : ١٨] .

بَادِرْ فإنَّ الذَّنْبَ يَجُرُّ إلى الذَّنْبِ فكَمْ مِنْ ذَنْبٍ صَغِيرٍ كَانَتِ النِّهَايَةُ معه بالتَّسْوِيفِ أَنْ يُحَالَ بينَ صَاحِبِه وبينَ قَلْبه وقد يُسْلَب إيمَانُه فَبَادِرْ ، أَرَأَيْتَ لو أَنَّ رَجُلًا أُمِرَ

باقْتِلاعِ شَجَرَةٍ بَاسِقَةٍ كبيرةٍ أُصُولُهَا وهو شَابٌ فَرَأَهَا كبيرةً فَهَابَهَا وقالَ : فَلْنَدَعْهَا إلى الغَدِ ، فَلَمَّا جَاءَ الغَدُ قالَ : لِنَدَعْهَا إلى العَامِ القَادِمِ ، إلى الذي يَلِيه ، إلى الذي يَلِيه ، فَإِنَّهُ بمُرورِ الوقتِ تَضْعُفُ قُوَّتُه وَيَخُورُ ، ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُ بعدهَا قَلْعَهَا ، فَمَا لَا تَقْدِرُ عليه في الشَّبَابِ لَا تَقْدِرُ عليه غَالِبًا وَقْتَ المَشِيبِ ، فَمِنَ العَنَاءِ رِيَاضَةُ الهَرِم ، ومِنَ التَّعْذِيب تَهْذِيبُ الذِّيب ، والقَضِيبُ الرَّطْبُ يَقْبَلُ الانْحِنَا ، فإِذَا جَفَّ وطَالَ عليه الزَّمَنُ صَعُبَ واسْتَعْصَى ، والغُصْنُ أَقْرَبُ تَقْوِيمًا مِن الخَشَبِ ومَا عَجَزْتَ عنه اليومَ قد تكونُ غَدًا أَشَدَّ عَجْزًا .

فَلَا تُبْقِي فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إلى غَدِ
لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

[الطويل]

فَبَادِرْ ، يُفْعَلُ الذَّنْبُ فَيَخْلَقُ الإيمانُ في القَلْبِ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوبُ ثُمَّ يُغَلَّفُ بالرَّانِ فَيَذْبُل ، ثُمَّ يَقْسُو ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، ثُمَّ يَمُوتُ وعِنْدَهَا يُحْرَمُ الإنسانُ لَذَّةَ مُنَاجَاةِ اللَّهِ ؛ فَعِبَادَاتُه بَعْدَ ذَلِكَ آلِيَّةٌ لَا رُوْحَ فِيهَا لَا تُزَكِّي نَفْسًا وَلَا تُطَهِّر رِجْسًا ، تِلْكَ عُقُوبَةٌ وَبَلِيَّة أَيُّ بَلِيّة ، ثُمَّ يَنْسَى القُرآن إِنْ كَانَ معه شيءٌ مِنَ القُرآن ، ثُمّ يُهْمِلُ الاسْتغْفَار ، ثُمّ يَحْرِصُ على الذَّنْبِ مَعَ عَدَمِ التَّلَذُّذِ بِهِ كُلَّمَا حَاوَلَ أَنْ يَعُودَ أُرْكِسَ فِي ذَنْبِهِ مَعَ هَمٍّ وغَمٍّ وَحَزَنٍ وَخَوْفٍ وَذُلٍّ لَا يُفَارِقُهُ ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاه .

ذَكَرَ الحَافِظُ ابنُ كثيرٍ رحِمهُ اللَّهُ في « البِدَايةِ » حَوَادِثِ سَنَةَ ثَمَانٍ وسبعينَ ومِائَتَيْنِ مَا يَلِي بِتَصَرُّفٍ ، قَالَ :

وَفِيهَا تُوُفِّيَ ابنُ عبدِ الرَّحِيمِ [1] قَبَّحَهُ اللَّه ، هَذَا الشَّقِيُّ كَانَ مِنَ المجَاهِدِينَ كثيرًا في بلَادِ الرُّومِ ، فَلَمَّا كانَ في بعضِ الغَزَوَاتِ والمُسْلِمُونَ يُحَاصِرُون بَلْدَةً مِنْ بِلَادِ الرُّومِ ؛ إِذْ نَظَرَ إلى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَاءِ الرُّومِ في ذلكَ الحِصْنِ ما غَضَّ بَصَرَه ، واللَّهُ يقولُ : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] ، أَتْبَعَ النَّظْرَةَ

---

(١) كذا في البداية (١٤/٦٤٠- هجر) لابن كثير ، وهو نتيجة انتقال نظر منه رحمه الله عند نقله القصة من مصدرها . والصواب أن القصة وقعت لرفيقٍ لعبدة بن عبد الرحيم المذكور في الغزو. ولصحة القصة وثناء الأئمة على عبدة بن عبد الرحيم انظر تاريخ دمشق (٣٧/٣٧٩) ، والمنتظم لابن الجوزي (١٢/ ٣٠٢) ، وتهذيب الكمال (١٨/٥٣٩) .

النَّظْرَة ، **والنَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٍ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ**[1] ، كَمْ نَظْرَةٍ أَلْقَتْ في قَلْبِ صَاحِبِهَا البَلَابِلَ والآلَامَ والحَسَرات .

كَانَ كَمَنْ أَدْخَلَ في جُحْرٍ يَدَا
فَأَخْطَأَ الأَفْعَى وَلَاقَى الأَسْوَدَا

[الكامل]

نَظَرَ فَهَوِيَهَا ثُمَّ رَاسَلَهَا هلِ إليكِ مِنْ سبيلٍ ؟ فَقَالت : لَا سَبيلَ إلَّا أَنْ تَتَنَصَّر وَتَتَبَرَّأَ مِنَ الإسْلَامِ ومِنْ مُحَمَّدٍ ،

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب (٢٩٢، ٢٩٣) ، والحاكم (٣١٣/٤، ٣١٤) وصححه ، وردّه الذهبي ، وله شواهد جميعها لا يخلو من مقال ، انظرها في المجمع (١٧٦/١) (٥/ ٢٨٨) (٦٣/٨) ، والضعيفة للألباني رحمه الله (١٠٦٥) .

صَلَّى اللَّهُ وسَلَّمَ عَلى نَبِيِّنَا محمَّد ، فَأَجَابَهَا وقالَ - ونعُوذُ باللَّهِ مِمَّا قَال - قالَ : هُوَ بَرِيءٌ مِنَ الإسْلَامِ ومِنْ مُحَمَّد ، وتَنَصَّرَ وصَعَدَ إليهَا - لَا إِلَه إِلَّا اللَّه ، نَعُوذُ باللَّهِ مِنَ الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ ، نَعُوذُ باللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الهُدَى ، نَعُوذُ باللَّهِ أَنْ نُرَدَّ على أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ، المَعَاصِي بَرِيدُ الكفرِ[1] ، كَمْ مِنْ مَعْصيةٍ جَرَّت أُخْتَهَا وأُخْتَهَا وأُخْتَهَا حتَّى كانت النِّهاية أَنْ سُلِبَ إِيمَانُ العَبدِ .

وهذا مَثَلٌ مِنَ الأَمْثِلَةِ - مَا رَاعَى المُسْلِمينَ إلَّا وهو عِنْدَهَا فَاغْتَمَّ المُسْلِمُون لذلكَ غَمًّا شديدًا وَشَقَّ عليهم ذَلِكَ مَشَقَّةً عظيمةً - صَدْرٌ وَعَى القُرآنَ يَعودُ لِيَعْبُدَ

(١) انظر الداء والدواء لابن القيم (ص ١٢٠).

الصُّلْبَان – لَمَّا كانَ بَعَدَ فَتْرَةٍ مَرُّوا عليه وهوَ مَعَ تِلْكَ المَرْأَةَ في ذَلِكَ الحِصْنِ عليه ذُلُّ الكُفْرِ وغَبَرَتُهُ وَقَطرتُهُ ، فقالُوا : يَا ابنَ عبدِ الرَّحِيمِ ، مَا فَعَل عِلْمُكَ ؟ مَا فَعَلت صَلَاتُكَ ؟ مَا فَعَلَ صِيَامُكَ ؟ مَا فَعَل جِهَادُكَ ؟ مَا فَعَلَ القُرْآن ؟ فقالَ في حَمْئَةِ ذُلِّ الكُفْرِ : أُنْسِيتُهُ مَا مَعِي مِنْهُ سِوَى آيَتَيْنِ – لَكَأَنَّهُ المَعْنِيُّ بِهِمَا – ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٢، ٣] . وَلَقَدْ صَارَلِي فِيهِم مَالٌ وَوَلَد – يَعْنِي صَارَ مَنْهُم ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] ، يَا مُقَلِّبَ القُلُوب ثَبِّت قُلُوبَنَا عَلَى دِينكَ ، يَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ ، اصْرِف قُلُوبَنَا إلى طَاعَتكَ ، يَا ربِّ ثَبِّتنَا على الإيمانِ وَنَجِّنَا

مِنَ سُبُلِ الشَّيطَانِ نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ حُسَنَ الخَاتِمَة فهي وَرَبِّي لَحظَاتٌ حَاسمَة ، ونَسْأَلُ اللَّهُ لنا السَّعَادةَ والفَوْزَ عندَ الموتِ بالشَّهَادَةِ ، بَادِرْ قَبْلَ أَنْ تُبَادرَ ، **هلْ تَنْتَظِرُ إلَّا غِنًى مُطْغِيًا ! أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًا ! أَوْ هَرَمًا مفندًا ! أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْ الدَّجَالَ فَشَرٌّ غَائِبٍ يُنْتَظَر أَوْ السَّاعَة والسَّاعةُ أَدْهَى وأَمَرُّ**[1] .

إِنَّ أَوَّلَ قَدَمٍ في الطرِيقِ بَذْلُ الرُّوحِ ، فإن كُنْتَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) كتاب الزهد ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل ، وقال : حديث حسن غريب ؛ وله شاهد عند الحاكم (٤/٣٢١) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، قال الألباني : وهو كما قال في ظاهر السند . ثم أورد له علة خفية وهي وجود جهالة في سنده ، انظر الضعيفة (١٦٦٦) .

تَسْتَطِيعُ عَلَى بَذْلِ الرُّوحِ فَتَعَال وبَادِرْ ، وإِلَّا فاذْهَب والْعَب مع اللَّاعِبِينَ حتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِين ، بَادِرْ قَبْلَ أَنْ تُبَادَر ، وَاصْدُقِ اللَّهِ في تَوْبَتِكَ واجْعَلْهَا نَصُوحًا خَالِصَةً فإنَّ اللَّه يَدْعُوكَ في عِدَادِ المُؤْمِنِينَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحريم : ٨] ، ويَعِدُ بالفَلَاحِ عَلَى ذَلِكَ فيقولُ : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

فَلَو دَوَاكَ كُلُّ طَبِيبِ دَاءٍ
بِغَيرِ كَلامِ رَبِّي مَا شَفَاكَ

[الوافر]

الصَّادِقُ في تَوْبَتِهِ لَا يَزَالُ ذَنْبُهُ نَصْبَ عَيْنَيْهِ خَائِفًا منه

مُشْفِقًا وَجِلًا بَاكِيًا نَادِمًا مُسْتَحْيِيًا مِنْ رَبِّهِ نَاكِثَ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْهِ دَائِمَ التَّضَرُّعِ إليه واللجُوءِ إليه حتَّى يقولُ عَدُوُّ اللَّهِ إبْلِيسَ : لَيْتَنِي تَرَكْتُهُ فَلَمْ أُوقِعْهُ في ذَلِكَ الذَّنْبِ .

رَوَى مُسْلِمٌ[1] في صَحِيحِهِ : أَنَّ امْرَأَةً وَقَعَت في كَبِيرَةِ الزِّنَى في لَحْظَةٍ مِنْ لَحظَاتِ ضَعْفِهَا ، فَتَذَكَّرَت عَظَمَةَ اللَّهِ وعِقَابَه وَوَعِيده ، فَأَنَابَت في شُعُورٍ عَظيمٍ بِمَرَارةِ المَعْصيةِ وعِظَمِ الكَبِيرَةِ وَأَرَادَت البَرَاءَةَ بِطَرِيقٍ مُتَيَقَّنٍ لَا يَتَطَرَّقُ له أَدْنَى احْتِمَال ، فَجَاءَت رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وقالتَ : يَا رسولَ اللَّه ، طَهِّرْنِي ، فقالَ: « **وَيْحَكِ ، ارْجِعِي وَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وتُوبِي إليهِ** » – كَانَ

---

(١) مسلم (٢٢/١٦٩٥، ٢٣، ٢٤)، كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى .

يَكْفِيهَا ذَلِكَ - لِكنَّهَا - قالتَ : يا رسولَ اللَّه ، أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَّدْتَ مَاعِزَ بنَ مَالكٍ ، واللَّهِ إنِّي لحُبْلى مِنَ الزِّنَى فَطَهِّرْني يَا رسولَ اللَّه ، قالَ : « **آنْتِ** » . قالتَ : نَعَم ، فقال لَهَا : « **ارْجِعِي حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنكِ** » - وَبِضْعَةُ أَشْهُرٍ تَمُرُّ وَهِيَ عَلَى خَوْفِهَا وَوَجَلِهَا وإشْفَاقِهَا ثُمَّ تَضَعُ وَتَأْتِي بالصَّبِيِّ في خِرْقَةٍ وتقولُ : هو ذَا قَدْ وَضَعْتُه فَطَهِّرْني يَا رسولَ اللَّه ، قالَ : « **اذْهَبِي فَأَرْضِعيهِ حتَّى تَفْطِميهِ** » - وَحَوْلاَنِ كَامِلاَنِ على خَوْفِهَا وإشْفَاقِهَا وَعَزْمِهَا على تَطْهِيرِ نَفسِهَا بالحَدِّ والحَدُّ كَفَّارَةٌ كَمَا أَخْبَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ [1] ، فَطَمتْهُ

---

(١) يشير الشيخ حفظه اللَّه إلى ما أخرجه البخاري (٦٧٨٤)، ومسلم (١٧٠٩/٤١) عن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه =

وأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بالصَّبِيِّ وفي يَدِهِ كِسْرَةُ الخُبْز ، فقالت : هو ذَا يَا نَبِيَّ اللَّه قَدْ فَطَمْتُهُ وَأَكَلَ الطَّعَامَ فَطَهِّرْنِي يَا رسول اللَّهِ ، قَلْبُهَا كَأَنَّهُ مُهْجَةٌ ، نِضْوٌ[1] بِبِلْقَاعَةٍ[2] يَعْتَادُهَا الضَّارِيَانِ الذِّئْبُ والأَسَدُ ، دُفِعَ الصَّبِيُّ إلى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثُمَّ أُمِرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إلى صَدْرِهَا وأُمِرَ النَاسُ فَرَجَمُوهَا فَكَانَ فِيمنَ رَجَمَهَا خَالِدٌ رضِي اللَّهُ عنهُ

= قال : كنا عند النبي ﷺ في مجلس ، فقال : بايعوني ... الحديث ، وفيه : « ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فهو كفارته » .

(١) نضو : أي مهزول ، والجمع أنضاء ، والنضو أيضًا الثوب الخَلَقُ . « المصباح المنير » .

(٢) البلقع : الأرض القفر ، وبلاقع : المرأة الخالية من كل خير وسهم . « القاموس المحيط » .

وَأَرْضَاهُ ، فَتَنَضَّخَ الدَّمُ على وَجْهِ خَالِدٍ فسَبَّهَا وشتَمَهَا ، فَسَمِعَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : « **مَهْلًا يَا خَالِد ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَت تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَت عَلَى أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُم ، لَقَدْ تَابَت تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ** » . مَا ضَرَّهَا ، وَكَأَنَّ الذَّنْبَ لَمْ يَكُنْ وَقَدْ بَقِيَ لها صِدْقُهَا وَثَنَاءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيهَا وعَلَى تَوْبَتِهَا وعَمَلِهَا الصَّالِح وَبقِيَ لَهَا شَرَفُ الصُّحْبَة والذي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ لَوْ سَجَدَ أَحَدُنَا حَتَّى يَنْكَسِرَ صُلْبُه مَا بَلَغَ مَنْزِلَتَهَا ؛ إِذْ هِيَ مَنْزِلَةُ الصُّحْبَة ، وكَفَى بِهَا مِنْ مَنْزِلَة ، بَقِيَ لَهَا فَوْقَ ذَلِكَ صَلَاةُ رسولِ اللَّه ﷺ عليها ودَفْنُهُ لَهَا ، فَرَضِيَ اللَّهُ عنها وَأَرْضَاهَا .

بالصدقِ زَكَى الأَصلُ فَطَابَ الفَرْعُ وطَابَ المَوْلِدُ

فَزَكَى المَحْتِدِ[1] .

فَنَبِّهْ فُؤَادَكَ مِنْ رَقْدَةٍ
فَإِنَّ المُوَفَّقَ مَنْ يَنْتَبِه

وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَنْتَبِه بالذي
وُعِظْتُ بِهِ فَانْتَبِه أَنْتَ بِهِ

[المتقارب]

بَادِرْ قَبْلَ أَنْ تُبَادَرْ وَلَا تَيْأَسْ وَلَا تَقْنَطْ وإِنْ عَظُمَ الذَّنْبُ : ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧] ، ﴿ومَنْ يَقْنُط مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُون﴾ [الحجر : ٥٦] .

---

(١) المحتد : الأصل والطبع . « القاموس » : (حتد) .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

في صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١] : قَالَ ﷺ : « **إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ والإِنْسِ والبَهَائِمِ والهَوَامِ فبها يَتَعاطَفُون وبهَا يَتَراحَمُون ، حتَّى تَرْفَعَ الدَّابَةُ حَافِرَهَا عن وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ ، فَإِذَا كَانَ يومُ القِيَامَةِ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الرَّحْمَة** » ، حتَّى إِنَّ الشَّيطَانَ لَيَتَطَاوَلُ يَظُنُّ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ سَتَسِعُهُ في ذَلِكَ اليومِ .

---

(١) مسلم (١٧/٢٧٥٢، ١٩، ٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فَيَارَبِّ اِرْأَفْ بِعَينٍ حُرِمَت طِيبَ الكَرَى
تَشْكُو وَدَمْعُ المُقْلَتَينِ قَدْ جَرَى

[الطويل]

في صَحِيحِ مُسْلِمٍ [(١)] مِنْ حَدِيثِ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ أَنَّه قالَ : قَدِمَ عَلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ سَبْيٌ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي وَلِيدًا لَهَا وَتَسْعَى حتَّى إذَا وَجَدَت صَبيًّا أَخَذَتْهُ أَلْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا أَرْضَعَتْهُ ، فقالَ لَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ : « **أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ** » . قُلْنَا : لَا واللَّهِ وهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَلَّا تَطْرَحَهُ يَا رسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ ﷺ : « **للَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا** » لَا إِلَه إِلَّا

---

(١) مسلم (٢٢/٢٧٥٤) ، والحديث في البخاري أيضًا (٥٩٩٩) كتاب الأدب .

هُوَ ، هُوَ الغَني بذَاتِهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ ثَنَاؤهُ تَعَالَى شَأنُه ، العَفْوُ أَحَبُّ إليهِ مِنَ الانْتِقَامِ ، والرَّحْمَةُ أَحَبُّ إليه مِن العُقُوبةِ ، سَبَقَت رَحْمَتُهُ غَضَبَه ، وحِلْمُه عُقوبَتَهُ ، الفَضْلُ أَحَبُّ إليه مِنَ العَدْلِ ، والعَطَاءُ أَحَبُّ إليه مِنَ المَنْعِ لَا إِلَه إِلَّا هُوَ .

يُورِدُ ابنُ القيم[1] رحِمهُ اللَّهُ عَن بعضِ العَارِفينَ أنه رَأَى في بَعْضِ السِّكَكِ بَابًا قَدْ فُتِحَ وَخَرجَ مِنْهُ صبيٌ يَسْتَغِيثُ ويَبْكِي ، وأُمُّهُ خَلْفَهُ تَطْرُدهُ حَتَّى خَرَجَ فَأَغْلَقَت البَابَ في وَجْهِهِ وَدَخَلَت فَذَهَبَ الصَّبِيُّ غيرَ بَعِيدٍ ثُمَّ وَقَفَ مُفَكِّرًا فَلَمْ يَجِدْ مَأْوَى غَيرَ البيتِ الذي أُخْرِجَ مِنْهُ

(١) مدارج السالكين (١/٢١٤) .

وَلَا مَنْ يُؤْيِهِ غيرَ وَالدَتهِ فَرَجَعَ مَكْسُورَ القَلْبِ حَزِينًا ، فَوجَدَ البَابَ مُرْتجًا مُغْلَقًا فتَوَسَّدَهُ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى عَتَبةِ البَابِ وَنَامَ فَخرجت أُمُّهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ عَلَى تِلْكَ الحَالِ لَمْ تَمْلِك أَنْ رَمَت بِنَفْسِهَا عليه والتزَمتْهُ تُقَبِّلُهُ وَتَبْكِي وتقولُ : يَا وَلَدِي ، أَينَ تَذْهَبُ عَنِّي مَنْ يُؤْيكَ سِوَاي ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تُخَالِفْنِي وَلَا تَحْمِلْنِي بمَعْصِيتكِ عَلَى خِلَافِ مَا جُبِلْتُ عليه مِنَ الرَّحمةِ بِكَ والشَّفقةِ عَليك وَإِرَادة الخَير لَكَ . ثُمَّ ضَمَّتُه إلى صَدْرِهَا وَدَخلت بِهِ بيتَهَا » ، فتَأَمَّل قَوْلَهَا : لَا تَحْمِلْنِي بِمَعْصِيتكِ عَلَى خِلافِ مَا جُبلتُ عليه مِنَ الرَّحمةِ بكَ والشَّفقةِ عليك وتَأَمَّل قَوله ﷺ : « **للَّهُ أَرْحَمُ بعبادِه مِنَ الوَالِدَةِ بوَلَدِهَا** » ، فَأَينَ تَقعُ رَحْمَةُ الوَالِدَة

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتي وَسِعَت كُلّ شَيءٍ ، رَحْمَةُ اللَّهِ هَلْ تُنَالُ بالتَّوَاني والكَسَل أَمْ بالجِدِّ والعَمَل . لِمَن كَتَبَها اللَّهُ ؟ اسْمَعُوا مَعْشَرَ المؤمنينَ إلى قَولِ اللَّهِ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٥٦، ١٥٧] . إنَّهَا للعَامِلِينَ كَتَبَهَا اللَّهُ لِلعَامِلينَ لَا لِلخَاملِينَ البَطَّالِينَ .

أَتَخْطِبُ الحُورَ لَمْ تُهْدِ الصَّداقَ لَهَا
وَلَمْ تُقَدِّم لَهَا عِقْدًا ولا قُرْطَا
أَمْ تَشْتَرِي الخُلْدَ بالمَغْشُوشِ مِن عَمَلٍ
وَسِلْعَةُ اللَّهِ لَا تُشْرَى بما خُلِطَا

[البسيط]

فَيَا عَبْدَ اللَّهِ اعْرِف عِزَّةَ اللَّهِ في قَضَائِهِ وَبِرَّه في فَتْرِه وحِلمه في إمْهَالِه وَفَضله في مَغْفرَتِهِ فَلِلَّهِ عليكَ أَفْضَالٌ وأَفْضَال .

أَوَّلُهَا : سَتْرُهُ عَليكَ حَالَ ارْتكَابِكَ للذَّنْبِ ، أَمَا واللَّهِ لَوْ شاءَ اللَّه لَفَضَحَك عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ فَمَا جَلَستَ مَجْلِسًا وَلَا حَضَرتَ مَجْمَعًا إِلَّا وَعُيِّرْتَ بِذَلِكَ الذَّنْب فَكَم مِن عَاصٍ نَفْسَ مَعْصِيتكَ فُضِحَ وَسَتَرَكَ اللَّه الذي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ ، وَيَا عَجبًا لأَقْوَامٍ بِاتُوا يَسْتُرهمُ اللَّهُ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ بِذُنُوبِهم قد هَتَكُوا سِتْرَ اللَّهِ عَلَيهم أُولَئكَ غَيرُ مُعافيْن إِنَّهُم المجَاهِرُونَ **وَكُلّ أُمَّة مُحمد ﷺ مُعَافى ، إِلَّا المُجَاهِرِينَ**[1] ، فَاشْكُرْ رَبَّكَ إِنْ سَترَكَ وتُبْ إِلَيه

(١) البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٥٢/٢٩٩٠) عن أبي هريرة =

قَبْلَ أَنْ يَفْعَل بِكَ مَا فَعَل بِغَيرِكَ وقُلْ : اللَّهُمَّ اسْتُر واجْعَل تَحتَ السِّتْرَ ما تُحِبُ .

ثَانيهَا : حِلْمُ اللَّهِ عَليكَ في إمْهَالِه وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَعَاجَلَكَ بالعُقُوبَةِ فَمَا كُنْتَ مِمَّنْ يَسْمَعُ الآنَ سِعَةَ رَحْمَتِه .

ثَالِثُهَا – وهو مِنَ أَعْظَمِهَا –: فَرَحُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِتَوْبَتِكَ فَرَحَ إِحْسَانٍ وبرٍّ ولُطفٍ ، لا فَرْحَة مُحْتاجٍ إلى تَوبَةِ عَبْدِهِ فَلَن يَتَكَثَّر بكَ مِن قِلَّة ، وَلَن يَتَعَزَّز بِكَ مِن ذِلَّة ، وَلَن يَنْتَصِرَ بِكَ مِن غَلَبة ، تَبَارَكَ اللَّهُ وجَلَّ اللَّهُ .

قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا ثَبَتَ في صَحِيحِ مسلمٍ[1] :

= رضي الله عنه .

(١) مسلم (٣/٢٧٤٤) ، وأخرجه البخاري أيضًا بنحوه (٦٣٠٨) =

« لِلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبده المُؤمِن مِن رَجَلٍ فِي أَرَضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ قَفْرٍ خَالِيَة مَعَهُ رَاحِلَتُه عليها طَعَامهُ وَشَرَابهُ فَنَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظ وَقدْ ذَهَبَتَ فَطَلَبهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ العَطَشُ ، ثُمَّ قَالَ : أَرْجِعُ إلى مَكَانِي الذي كُنتُ فِيهِ فَأَنامُ حَتَّى أَمُوت ، تَوَسَّدَ سَاعِدَه يَنْتَظِرُ مَوْتَه ، فَإِذَا بِرَاحِلَتِه عِنْدَه عليها طَعَامُه وشَرَابُه وَزَادُه فَأَخْطأَ مِن شِدَّةِ الفَرحِ ، فَقَال : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ » .

لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ ، كَيفَ بَلَغَ بِهِ الفَرَح حَتَّى أَخْطَأ ، فَقَالَ : أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّك ، فَرَحٌ لَا تَنْقُلُهُ الأَلْفَاظُ وَحُبُّ اللَّهِ لِلعَبدِ أَشَدّ مِن حُبِّ العَبدِ لِلَّه فَيَفْرَحُ بِتَوبتِهِ ويُجَازِيه بِأَنْ يَجْعَل في قَلْبه مِن اللّذَّة والفَرَحِ والسَّعَادِةِ

= من حديث عبد اللّه بن مسعود .

والسُّرور مَا يُرى بَادِيًا عَلَى قَسَمَاتِ وَجْهِهِ إنْ صَدَقَ وَنَصَحَ وَأَخْلَص ، واللَّهِ مَا هُوَ إلَّا كَرَجُلٍ بَرَزَ لِلقَتلِ ثُمَّ عُفِيَ عنهُ والجَزَاءُ مِن جِنْسِ العَمَلِ .

رَابِعُهَا : تَبْدِيلُ السَّيئاتِ إلى حَسَنَات ، قالَ اللَّهُ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ، فَمَا النَّتِيجَة ؟ ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦٨- ٧٠] .

فَإِنْ هَوَى بِكَ إِبْلِيسُ لِمَعْصِيةٍ
فَأَهْلِكْنْهُ بالاستغفارِ يَنْتَحِبِ

بِسَجْدَةٍ لَكَ فِي الأَسْحَارِ خَاشِعَةٍ
سِجُودَ مُعْتَرِفٍ لِلَّهِ مُقْتَرِبِ

[البسيط]

رَوَى المنذري[1] بسندٍ جيدٍ عَنْ عبدِ الرحمن بن

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧١٨)، والبزار (٤/٧٩) رقم (٣٢٤٤- كشف)، والطبراني في الكبير (٧٢٣٥)، وابن الأثير في أسد الغابة (٢/٥٢٤)، وابن حجر في الأمالي (ص ١٢٤) كلهم عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي طويل شطب المشدود، قال الهيثمي في المجمع (١/٣٢): رجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن هارون وهو ثقة، وانظر الترغيب والترهيب (٤/١٣١). وقال الخطابي: الحاجّة الذي يقطع الطريق على الحجيج إذا ذهبوا، والداجّة الذي يقطع عليهم الطريق إذا رجعوا.
وله شواهد: =

جُبير قالَ : أَتَى النَّبيَّ ﷺ شَيْخٌ كبيرٌ هَرِم سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَينيهِ وهو مُدَّعِمٌ عَلَى عَصَا - يَعني مُتَّكِئًا عَلَى عَصَا - حَتَّى قَامَ بَينَ يَدَي النَّبيِّ ﷺ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا لَنْ يَترك دَاجَّةً وَلَا حَاجَّةً إلَّا أَتَاهَا لو قُسِّمَت خَطِيئتهُ عَلَى أَهْلِ الأَرضِ لأَوْبَقَتْهُم - لَأَهلكتهم - أَلَهُ مِن تَوبةٍ؟ فقالَ ﷺ : « **هَلْ**

= ١- من حديث عمرو بن عبسة عند أحمد (٣٨٥/٤) ، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (١٤٥) ، وأورده الهيثمي في المجمع (٣٢/١) ، وقال : رجاله موثقون ، وأورده ابن حجر في المطالب العالية (٢٨٤٧) ، ونسبه إلى أبي يعلى .

٢- من حديث أنس عند أبي يعلى (٣٤٣٣) ، ومن طريقه ابن حجر في الأمالي (ص ١١٤)، وابن خزيمة في التوحيد (٣٤٢) ، والطبراني في الصغير (١٠٢٥) .

قال في المجمع (٨٣/١٠) : رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات .

أَسْلَمتَ؟ » قالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رسولُ اللَّهِ قالَ : « **تَفْعَل الخَيْرَات وَتَتركُ السَّيئاتِ فَيَجْعَلَهُنَّ اللَّهُ لَكَ كُلَّهُنَّ خَيْرَات** » . قَالَ : وَغَدَراتي وفَجَرَاتي يَا رسُولَ اللَّهِ ، قالَ : « **نعَم وغَدَراتِكَ وفَجَراتِك** » ، فقال : اللَّهُ أكبرُ ، اللَّهُ أكبرُ ، ثم ادَّعَمَ عَلَى عَصَاهُ فَلَم يَزَلْ يُرَدِّد : اللَّهُ أكبرُ ، حتى توارَى عَنِ الأَنْظَارِ .

فَضَلُ اللَّهِ واسِعٌ لَا تَقْتَحِمهُ العِبَارَةُ وَلَا تَجْسَر إليه الإشَارَة ، لَا يَهلَكُ إِلَّا هَالِكٌ وَلَا يَشْقَى إِلَّا شَقِي فَلَا تيأَس مِن رَحمةِ اللَّهِ وَلَا تجْتَرِئْ عَلَى مَعْصِيةِ اللَّهِ وَتُبْ كُلَّمَا أذْنَبْتَ .

قَالَ بعضُهمُ لِشَيْخِه : إِنِّي أُذْنِب ، قال : تُبْ ، قالَ : ثُمَّ أَعُودُ ، قالَ : تُبْ ، قالَ : إلى مَتى ؟ قالَ : إِلَى أَنْ تُحْزِنَ

الشَّيْطَانَ وَدَّ لَوْ ظَفِرَ مِنْكَ باليَأسِ والقُنوطِ[1] .

دَعَـاكَ رَبٌّ بِـالـنَّـدَى يُـعْـرَفُ
يَـا مَـن عَـلَـى أَنْـفُـسِـهِـمْ أَسْـرَفُـوا
لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْـمَـتِـي وَأَعْرِفُوا
إِنِّـي لَـغَـفَّـارُ الـذُّنُـوبِ الـعِـظَـامْ
يا مَنْ وَسِعْتَ بِرَحْمَةٍ كُلَّ الوَرَى
مَـنْ قَـدْ أَطَـاعَ وَمَـنْ غَـدا يَـتَـأَثَّـمُ
إِنْ كَـانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُـحْـسِـنٌ
فَـبِـمَـنْ يَـلُـوذُ وَيَـسْـتَـجِـيـرُ الـمُـجْـرِمُ
[الكامل]

(١) انظر جامع العلوم (٤١٥/١) ، وفيض القدير (٣١٨/٤) .

بَادِرْ قَبْلَ أَنْ تُبَادَر ، بَادِرْ وَلَا تَنْظُر إِلى صِغرِ الخَطِيئةِ وَلَكَنْ انْظُر إِلَى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيت إِنَّهُ اللَّهُ الجَلِيلُ الأَكْبرُ الخَالِقُ البَارِئُ والمُصَورُ .

بَـارِي الـبَـرَايَـا مُـنْـشِـئُ الخلائِـقِ
مُـبْـدِعُـهُـم بِـلَا مِـثَـالٍ سَـابِـقِ
الأَوْلُ المُبْـدِي بِـلَا ابْـتَـدَاءِ
والآخِـرُ الـبَـاقِـي بِـلَا انْـتِـهَـاءِ
الأَحَـدُ الـفَـرْدُ الـقَـدِيـرُ الأَزَلِـي
الـصَّـمَـدُ الـبَـرُّ المُهَـيْـمِـنُ الـعَـلِـي
عُـلُـوَ قَـهْـرٍ وعُـلُـوَ الـشَّـانِ
جَـلَّ عَـنِ الأَضْـدَادِ والأَعْـوَانِ

[الرجز]

مَنْ نَظَرَ إلى عَظَمَةِ اللَّهِ وجَلَالِه عَظَّمَ حُرَمَاتِهِ ، وقَدرهُ قَدْرَهُ وأَجلَّ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وعَظُمَ عليه ذَنْبهُ وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا ، لَكَأَنَّهُ الجبَلُ هُوَ فِي أَصْلِه يَخْشَى أَنْ يَقَعَ عليه فَيُهْلِكَهُ فَقَلْبُه كَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَاحِي طَائِر تَجِدُهُ مُنْكَسِرَ القَلْبِ غزِيرَ الدَّمْعِ قَلِقَ الأَحْشَاءِ ، له في كُلّ واقِعةٍ عِبْرَة إِذَا هَدَلَ الحَمَامُ بَكَى ، وإذَا صَاحَ الطَيرُ ناح . وإذَا شَدَا البُلْبُلُ تَذَكَّرَ ، وإذَا لَمَعَ البَرْقُ اهْتَزَّ قَلْبُه خوْفًا مِمَّنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ والمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، الذُّلُّ قَدْ عَلَاهُ والحُزنُ قَدْ وَهَّاهُ يَذُمُّ نَفْسَهُ عَلَى هَوَاه ويَصْدَعُ بأَوَّاه أَوَّاه مِنْ غفلاتي ومِن عَسَى وَلَعَلّ ، يَا مَنْ عليه اعْتِمَادِي بِكَ اهتديتُ ومَنَ لَمْ يَرجُو الهُدَى مِنْكَ ضَلَّ ، بَادِر وإيَّاكَ ومُحَقَّرَات الذُّنُوبِ فَإن لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا ، بَادِر وَرُدَّ المَظَالِمَ إلى أَهْلِهَا أوْ تحَلَّل مِنْهم واطْلُب المُسَامَحَة . لَا تَتِمُّ التَّوْبَةُ إلَّا

بذاك . صحَّ أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قالَ : « **لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلَى أَهْلِهَا يَومَ القِيَامَةِ حتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ** »[1] .

وقالَ ﷺ : « **مَنْ كَانت عِنْدَهُ مَظْلَمةٌ لأخِيهِ فَلْيَتَحلَّلهُ مِنهُ اليومَ قَبلَ أَنْ لا يكون دِرْهَمٌ وَلَا دينَار ، إنْ كَانَ له عَمَلٌ صالحٌ أُخِذَ مِنهُ بقَدرِ مَظْلَمته ، وإنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَات أُخِذَ مِنَ سَيِّئَاتِ صَاحِبِه فَطُرِحَت عليه** »[2] .

وفي حديثِ ابن أُنيس : « **يقولُ اللّهُ يومَ القيامةِ : أَنَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٢/٦٠) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، وأخرج مسلم معناه وهو حديث المفلس (٢٥٨١) .

الـمَلك ، أَنَا الدَّيَّان ، لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الـجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الـجَنَّة وَلِأَحَدٍ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ حَتَّى اللَّطْمَة » [1] .

قال اللَّهُ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣١] .

« لَمَّا حَضَرَت عُبَادَة بن الصَّامت رضِي اللَّهُ عنه

---

(١) علقه البخاري في كتاب التوحيد قبيل حديث (٧٤٨١) ، ووصله في الأدب المفرد (٩٧٠) ، وفي خلق أفعال العباد (ص٩٢) ، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة (٤٥- زوائد) ، وأحمد (٤/٣٩٥) ، وابن عبد البر في بيان العلم (ص١٢٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٤) ، والحاكم (٢/٤٣٧) و(٤/ ٥٧٤) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٧٨ و٢٧٣) ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وحسن الحافظ بعضه في الفتح (١/١٧٤) .

الوَفاةُ قالَ : أَخْرِجُوا فِرَاشِي إِلَى صَحْنِ الدَّارِ فَأخْرجُوه ، قال : اجْمَعُوا لِي مَوَالِيَّ وَخَدَمِي وجِيرَانِي وَمَنْ كَانَ يَدْخُلُ عَليَّ ، فَجَمَعُوهُم لَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لأَرَى يَومِي هَذَا آخِرَ يَومٍ يَأْتِي عَليَّ مِنَ الدُّنيَا وَلَيْلَتِي هذهِ أَوَّل لَيلةٍ مِن الآخرةِ وإِنِّي لا أدْرِي لَعَلَّهُ فَرَطَ مِنِّي إِليكُم شَيءٌ بِيَدِي أَوْ بلِسَانِي هُوَ والَّذِي نَفْسُ عُبادَةَ بِيَدِهِ القِصَاصُ يَوم القِيَامَة أُحَرِّجُ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُم فِي نَفْسِه عَلَيَّ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا اقْتَصَّ مِنِّي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ رُوْحِي ، فَبَكَوا جَمِيعًا وضَجُّوا وقالُوا : بَلْ كُنْتَ وَالِدًا وكنتَ مُرَبِّيًا وكنتَ مُؤَدِّبًا – وَلَمْ يَكُن قالَ لِخَادِمٍ قَطُّ سُوءَ – قَالَ : تَجُودُونَ لِي بالدَّمْعِ وَمَا يُغْنِي الدَّمْع أَغَفَرْتُم لِي ، فَضَجُّوا وقالُوا : أَنْ نَعَم ، قالَ : اللَّهُمَّ اشْهَد ، اللَّهُمَّ اشْهَد ، اللَّهُمَّ اشْهَد .

أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، ثُمَّ لَقِيَ اللَّه »[1] .

الـخُلْدُ تَدْعُوكَ فَهَل مِن مُجِيبٍ والحُورُ تَخُفُو لِلقَاءِ الحَبِيبِ وَافَرْحَتَى لِكُلِّ عَبدٍ مُنيبٍ لَبَّى نِدَا الدَّاعِي لِدَارِ السَّلَامِ ، فَبَادِر برَدِّ المَظَالِم أَوْ التَّحَلّلِ مِنْهَا فَلَن يُجَاوِزَ جِسرَ جَهَنَّم إِلَى الجَنَّة ظَالِمٌ حتَّى يُؤَدِّيَ مَظْلَمَتَهُ ، خَفِّفْ عَنْ ظَهْرِكَ ، ظَهْرُكَ لَا يُطِيقُ كُلَّ ما تَجْنِي ، ظُلْمُ هَذَا وَأَكْلُ مَالِ هَذَا والوُقُوعُ فِي عِرْضِ ذَاكَ وشَتْمُ ذَا خَفِّفْ قَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ، قالَ اللَّهُ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

---

(١) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٦/٢٠٤) ، وتهذيب الكمال للمزي (١٤/١٨٨) .

بَادِرَ قَبْلَ أَنْ تُبَادَرَ وَلَا تَصْحَبَ الْفَّاجِرَ فإِنَّه يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَه ويَوَدُّ لَوْ أَنَّكَ مِثْلُهُ وَطَبْعُكَ يَسْرِقُ مِنْهُ **والـمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلُه**[1] .

لَا تَسْكُن أَرْضًا مَوْبُوَة ، فَإِنَّ جُرْثُومَةَ الـمَرضِ تَسْرِي فَتَفْرِي ، اهْجُر الـمَعْصِية وَمَكانهَا وَعَليكَ بِقَومٍ يَعْبُدُونَ اللَّه بأَيِّ أَرْض فاحْبِس نَفْسَكَ معهم فَإِنَّ بيئة الـمَعْصِية بِيئَةُ سُوءٍ[2] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) ، وعبد بن حميد (١٤٣١)، وأحمد (٣٠٣/٢) بلفظ الرجل على دين خليله .. وصححه الألباني في الصحيحة (٩٢٧) .

(٢) يشير الشيخ حفظه اللّه إلى حديث قاتل المائة ، أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ، ومسلم (٤٦/٢٧٦٦) عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه .

واللَّهِ الذي لَا إلَه إلَّا هُوَ لأَنْ تَنْقُلَ الحِجَارِة وتَأْكُلَ الحِجَارِة وتَنَامَ عَلى الحِجَارِة مَعَ الأَبْرَارِ خَيْرٌ لَكَ مِن أَكْلِ الحَلْوَى والجُلُوسِ عَلَى الحَرِيرِ والنَّومِ عَلَى الحَرِيرِ مَعَ الفُجَّارِ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إلى الجَنَّة وأُولَاءِ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ. « فَمَا يَنْفَعُ الجَرْبَاءَ قُربُ صَحِيحَةٍ إِلَيهَا وَلَكِنَّ الصَحِيحَةَ تَجْرَبُ ». قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨]. اهْجُر مَكَانَ المَعْصِية وَأَطِل الصَّمْتَ وَأَجْمِل السّكُوت وَلَا تَخُض مَعَ الخَائِضِينَ وَقِف على أَحْوالِ التَّائِبينَ وَإِذَا رَأَيتَ العُصَاة فَلَا تَشْمَخ بأَنْفِكَ واحْمَد رَبَّكَ وَدُلَّهُم عَلَى ما أَنْتَ فِيهِ، وقُلَ : ﴿ كَذَلِكَ

كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء : ٩٤] .

فِفِي ذَلِكَ ذِكْرَى لِلمُؤمنينَ هَا هُوَ أَبْو لُبابة رضِي اللَّهُ عنه وأَرْضَاهُ لَـمَّا أَرْسَلَهُ رسولُ اللَّه ﷺ إلى بَنِي قُرَيظَة – وَقَدْ أَجْهَدَهُم الحِصَارُ وَقَدْ غَدَرُوا برسُولِ اللَّهِ ﷺ ونَقَضُوا العَهْدَ – فَقَامَ إِليهِ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ والأَطْفَالُ يَبْكُونَ فَرَقَّ لهم ، فقالُوا : أَنَنْزِلُ على حُكِم مُحَمَّد – صلى اللَّه وسلم على نبينا محمد – قالَ : نَعَم ، وأَشَارَ بِيَدِهِ إلى حَلْقِه – إِنَّه الذَّبْحُ – يقولُ : فَوالذي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ مَازَالت قَدَمَاي مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَلِمْتُ أَنِّي خُنْتُ اللَّهَ ورسولَهُ . وَرَجَعَ نَادِمًا أَسِيفًا عَظَّمَ اللَّه عزَّ وجلَّ لَنْ يَرْجِعَ إِلى رسولِ اللَّه ﷺ وإِنَّمَا رَجَعَ فَارْتَبَط بجِذْعٍ فِي المَسْجِدِ لَا يُطْلَقُ مِنْهُ إِلَّا لِيُصَلِّي ثُمَّ يَعودُ إِلى ذَلِكَ الجِذْعِ يَتَلَمَّسُ عَفْوَ اللَّهِ ولَطْفَ اللَّهِ ورحمةَ اللَّهِ وتَوْبَةَ

اللَّهِ حتَّى إذَا مَا نَزَلَتَ توبتُه - أَبْشِر بِخَيرِ يومٍ مَرَّ عَليكَ يَا أَبَا لُبَابةَ لَقَدْ تِيبَ عليكَ - خرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ عزَّ وجلَّ ، ثُمَّ قامِ إليهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ فَأَطْلَقَهُ ، فَقَالَ - وهو يَرْسِمُ مَنْهَجًا لِهَجْرِ المَعْصِية وَمَكَانِ المَعْصِية وَبيئَةِ المَعْصِية قَالَ -: يَا رسولَ اللَّهِ ، والذي لَا إلَه إلَّا هُوَ مَا وَطِئتَ قَدَمَاي أَرْض بَنِي قُرَيظَةَ مَا حَييتُ ، واللَّهِ لَا أُرى فِي بَلَدٍ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيه أَبَدًا[1] .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير (٢٠٤/٥) رقم (٩٨٧) ، وابن سعد في الطبقات (٧٤/٢) ، والطبراني في التفسير (٢١/ ١٥٢) ، وانظر سيرة ابن هشام : (٢٣٤/٢- ٢٣٧) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٨٠/٦- هجر) ، وقد أخرج أبو داود (٣٣١٩) ، ومن طريقه البيهقي في السنن (٦٨/١٠) ، وأحمد في المسند (٤٥٣/٣) حديثًا بمعنى هذه القصة .

بَادِر قَبلَ أَنْ تُبَادَرَ وَأَتْبع السَّيِّئَةَ الحَسَنَة تَمْحُهَا ، قالَ اللَّه : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود : ١١٤] .

لَمَّا رَاجَعَ عُمرُ رضِي اللَّهُ عنه رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الحُدَيبِيَة ، فقالَ : أَلَستَ نَبِيَ اللَّه حَقًّا ؟ أَوَ لَسْنَا المُؤمنينَ أَوْ لَسْنَا عَلَى الحَقِّ وهُم عَلَى البَاطِل فَعَلَام نُعْطِي الدَّنيَّةَ في دِينِنَا وَلَمَّا يَحْكُم اللَّه بَيْنَنَا ؟ فَقَالَ ﷺ : **« إِنِّي رسولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وهو نَاصِرِي »**[1] .

وقالَ أبو بكرٍ : الْزَمْ غَرْزَهُ[2] يَابنَ الخَطَّابِ ، فَوَالذِي

---

(١) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) كتاب الشروط عن المسور بن مخرمة رضي اللَّه عنه .

(٢) الغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرج ، وعنى به : الزم أمره ولا تفارقه ، شرح غريب السيرة (٤٧/٣) .

نَفْسِي بِيَدِه إِنَّه لَعَلَى الحَقِّ . يقولُ عمر : فَعَمِلتُ لِذَلِك أَعْمَالًا[1] يَقُولُ - مَازِلتُ أَتَصَدَّقُ وأَصُومُ وأُصَلِّي وأُعْتِقُ مَخَافَةَ مُرَاجَعَتِي رسولَ اللَّه ﷺ يومَ الحُدَيْبِيَة[2] .

بَادِر وَلَا تَعْجَز إِذَا فَرَطَت مِنْكَ سَيئة أَنْ تُتْبِعَها حَسَنةً ، واذْكُر مَسِيرَ العُمر مَا أَسْرَعَهُ ، وَارْقُبْ هُجُومَ المَوتِ مَا أَفْظَعَه وَبَادِر قبلَ أَنْ تُبَادَر ، دعِ المُحْدَثَاتِ والبدعَ فإنَّ رسول اللَّه ﷺ قالَ : « **إِنَّ اللَّه حَجَبَ**

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٥/٣٤٦) : المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداء .

(٢) سيرة ابن هشام (٢/٣١٦- ٣١٩) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٦/٢١٧) .

التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَع بِدْعَتَهُ »[1] .

صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ رحِمَهُ اللَّهُ في صَحِيحِ التَّرغيب والترهيب ، تَدْرِي أَخي أَيْنَ طَرِيقُ الجَنّة ؟ طَرِيقُهَا القُرْآنُ ثمَّ السُّنَّة ، وخَير أُمُور الدِّين مَا كَانَ سُنَّةً ، وَشَرُّ الأُمورِ المُحْدثاتُ البَدَائِعُ ، بَادِر وَقِفْ مِعي على أَحْوالَ التَّائِبينَ فإِنَّها ذِكْرَيَاتُ مُتَأَلِمِينَ وَذِكْرَى المُتَأَلِمْ تَنْفَعُ المُؤمنينَ بِإِذْنِ رَبِّ العَالمينَ .

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٢١) ، وأبو الشيخ في تاريخ أصبهان (٧٥٣) ، والطبراني في الأوسط (٤٢٠٢) ، والبيهقي في الشعب (٧٢٣٨) ، قال في المجمع (١٠/٨٩) : رجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى وهو ثقة ، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٠) .

يقولُ صاحِبُ رِسَالة «أَخِي الشَّاب إِلَى أينَ تسيرُ» - قالَ صاحِبُ القِصَّة -: كُنَّا ثَلَاثَةً مِنَ الأَصْدِقَاء يَجْمَعُنَا الطَيْشُ والعَبَثُ لَا بلْ أَرْبَعة ، فقد كانَ الشيطانُ رابِعَنا نَذْهَبُ لاصطِيادِ أَعْرَاضِ المُسْلِمينَ بالكَلَامِ المَعْسُولِ نَسْتَدِرجهُنَّ إلى الاسْتِرَاحَاتِ في المَزارِعِ البَعيدةِ بَعَدَ موتِ قُلوبنَا وَأَحَاسِيسِنَا وَمَشَاعِرِنَا هَكَذَا كَانت حَياتُنا . يَقولُ : أَيَّامُنَا لَيَالِينا في المزارِعِ في المُخَيماتِ بالسَّيارَاتِ عَلَى الشَّوَاطِئِ إلى أَنْ جَاءَ يَوْمٌ . وَذَاكَ اليومُ لَا يُنْسَى - ذَهبتُ إلى المَزْرَعةِ مع أَصْحَابِي كُلُّ شَيءٍ جَاهِز ، الشَّرَابُ جَاهِز - ونَعوذُ باللَّه - الفَرِيسَة جَاهِزَة - ونعوذُ باللَّهِ - نَسِينَا الطَّعَام ذَهَبَ أَحَدُنَا لِشِرَاءِ طَعَامِ العَشَاءِ بِسَيارَتِه فِي حَوَالي السَّادِسَة تَقْرِيبًا ، مَرَّت السَّاعَات تُلْوَ السَّاعات دَونَ أَنْ يَعودَ ، وفي

العَاشِرَة شَعَرتُ بالقَلقِ ، شَعَرْتُ بالضِّيقِ ، انْطَلَقْتُ بِسَيَّارتي أَبْحَثُ عنه ، وفي الطَّرِيقِ شَاهدتُ أَلْسِنةَ النِّيرَان تَنْدَلِعُ عَلَى جانِبَي الطَّرِيقِ - يَالَلهَوْلِ - فُوجِئْتُ بأَنَّها سَيَّارةُ صدِيقي النَّارُ تلْتَهِمُهَا ، مَقْلُوبَةٌ على أَحَدِ جَانِبَيْهَا ، كالـمَجْنُونِ أَسْرَعْتُ أُحَاوِلُ إِخْرَاجَهُ مِنَ السَّيَارَةِ وَجَدْتُ نِصْفَ جَسَدِه قَدْ تَفَحَّم لَمْ يَزَلْ على قَيدِ الحَيَاةِ ، سَحَبْتُه إلى الأَرْضِ ، فَتَحَ عَيْنَيهِ وأَخَذَ يَهْذِي : النَّار ، النَّار ، النَّار ، قرَّرْتُ حَمْلَهُ بسَيَّارتي إلى المُسْتَشْفَى ، فَقَالَ بِصَوتٍ بَاسِمٍ حَزِينٍ : لَا فَائدةَ ، لَنْ أَصِل ، مَا عَسَى يُغْني غَرِيقٌ عَنْ غَرِيق ، خَنَقَتْني الدُّمُوعُ ، أرَاهُ يَمُوتُ أَمَامِي ، ثُمَّ فُوجِئْتُ بِهِ يَصْرُخُ بأَعْلَى صَوْته : مَاذَا أَقُولُ له ، مَاذَا أَقُولُ له ، مَاذَا أقولُ له ؟ دُهِشْتُ ، وقُلْتُ له : مَنْ هُوَ ؟ قالَ : اللَّه ، اللَّه ، مَاذَا أقولُ له ؟ ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً مُدَوِّيَة

وَلَفَظَ آخِرَ أَنْفَاسه ، اجْتَاحَ الرُّعْبُ جَسَدِي وَمَشَاعِرِي صُورَتُه لَمْ تُفَارِقْني يَصْرُخُ : النَّار ، النَّار ، والنَّارُ تَلْتَهِمُه وهو يقولُ : ماذا أقولُ له ، ماذَا أقولُ له ؟ تَسَاءَلْتُ ، وقُلْتُ : وأَنا مَاذَا أقولُ له ؟ لَا إله إلَّا اللَّه ، فَاضَت عَيْنَاي ، اقْشَعَرَّ جَسَدِي ، وإذا بالمُنَادِي يُنَادِي : اللَّهُ أكبرُ ، اللَّهُ أكبرُ ، نداءَ صلاةِ الفجرِ أَحْيَا فِيَّ كُلَّ جَارِحَة ، أَحْسَسْتُ لأَوَّلِ مَرَّةَ أَنَّهُ نِدَاءٌ خَاصٌ بي يَهُزُّ أَعْمَاقِي يَدْعُوني لإسْدالِ السِّتَارِ عَلَى فَتْرَةِ مُظْلِمَةِ مِنْ حَيَاتِي يَدْعُوني إلى الهِدَايَةِ ، إلَى السَّعَادةِ ، اغْتَسَلْت تَطَهَّرْت أَسْقَطْتُ عن جَسَدِي ورُوحي ثِقَلَ رَزَائِل غَرِقْتُ فِيهَا سَنَواتٍ وَسَنَواتٍ ، أَدَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ ومِنْ يَوْمِهَا لَمْ تَفُتْنِي فَرِيضَة ، والحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

وَأَسفَاهُ مِنْ حَيَاةِ عَلَى غُرُورٍ وَمَوْتٍ عَلَى غَفْلَةِ

وَمُنْقَلَبٍ إلى حَسْرَةٍ ووقُوف يومَ الحِسَاب بِلَا حُجَّة .

ازْرَع لِكَي تَحْصِدَ يَومَ الزِّحَام
يَا وَيْلَ مَنْ يُلْهِيهِ عَنْهُ الحُطَام
[الخفيف]

يَا عَبْدَ اللَّه ، أَيُّهَا الشَّابُ مَثِّل نَفْسَكَ - أَجَارَكَ اللَّهُ - صَاحِبَ الحَادِثِ ثُمَّ لَا تُسَوِّف ، عَجِّل ، عَجِّل ، هَيَّا هَيَّا إلى اللَّه ، لَا طَاقَةَ لِقَذُورَةِ الوَسَخِ مع بَيَاضِ الصَّابُونِ ، قُلْ قَلْبًا وقَالَبًا :

أَيَا مَلِكَ المُلُوكِ أَقِلْ عِثَارِي
فَإِنِّي عَنْكَ أَنْأَتْنِي الذُّنُوبُ
وَأَمْرَضَنِي الهَوى لِهَوَانِ نَفْسِي
ولكِنْ لَيْسَ غَيْرَكَ لِي طَبِيبُ

أَيَـا دَيَّـانَ يَـومِ الـدِّيـنِ فَـرِّجْ
هُـمُـومًا فـي الـفُـؤادِ لَـهَـا دَبيـبُ

[الوافر]

وبَادِر قَبْلَ أَنْ تُبَادَرَ وَلَا تَغْتَر بكَثِيرِ عَملكَ فَأَعْمَالُكَ الصَّالِحَةَ مِنْ تَوفِيقِ اللَّه وفَضْلِه ومَنِّهِ عليكَ ، ومع هذَا فَلَيْسَت ثَمَنًا لِجزَائِه وَثَوَابِه ، بَلْ غَايَتُهَا أَنَّها بَعَد النُّصْحِ والوُقُوعِ عَلَى أَكْمَل وَجه شُكْرٌ لَه على بَعْضِ نِعَمِهِ سُبْحَانَهُ وبحَمْدِهِ ، فَلِذلكَ لَوْ عَذَّبَ اللَّهُ أهلَ سَمَاوَاتِه وَأَرْضِه لَعَذَّبَهُم وهو غيرُ ظَالِمٍ لهم ، ولو رَحِمَهُم لكانت رَحْمَته خَيْرًا لهم مِن أعْمَالِهِم . في الحديث المُتفقِ عليه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « **لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُم الجَنَّةَ عَمَلُهُ** » . قالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رسولَ اللَّه ؟ قالَ : « **وَلَا أَنَا** ،

إلَّا أنْ يَتغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفضْلٍ »[1] .

أَلَا إنَّ المَنْفِيَ هُنَا اسْتِحْقَاقُ الجنَّة بمُجَرَّدِ العَمَل وكوْنِ العَمَلِ ثَمنًا وعِوَضًا لَهَا ، فَمَا العَمَلُ ؟ وَلَوْ عَظُم يُساوِي نِعْمَةَ البَصَرِ فَاذْرِ وَانْتَبه ، وَلْيَكُن حَالُك وَمَقَالُكَ :

إنَّ المُلُوكَ إذَا شَابَتْ عَبِيدُهُمُ
فِي رِقِّهِم عَتَقُوهُم عِتْقَ أَبْرَارِ
وَأَنْتَ يَا خَالِقِي أَوْلَى بِذَا كَرَمًا
قَدْ شِبْتُ فِي الرِّقِّ فَاعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ

[البسيط]

---

(١) متفق عليه : البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٧٥/٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .

أخرَجَ الإمامُ أحمَد[1] في مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ عبدِ اللَّه بنِ أبي مُلَيْكَة عن ذَكْوان مَوْلَى عائشةَ رضِي اللَّهُ عنها أنه اسْتَأْذَنَ لابْنِ عباسٍ رضِي اللَّهُ عنهما على عائشةَ - وهي تَمُوتُ - وهي في سَكَرَاتِ المُوت وعندَها ابن أخِيهَا عبد اللَّهِ بن عبدِ الرحمنِ ، فقالَ لَهَا : هَذَا ابن عبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عليكَ وهو مِن خَيرِ بَنِيكِ ، فقالت : دَعْنِي مِن ابنِ عبَّاس ومِن تَزْكِيَتِه ، فقال لَهَا عبدُ اللَّهِ : يَا أُمَّاه ، إِنَّه قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّه ، فَقِيه في دينِ اللَّه ، حَبيبٌ إلى رسولِ اللَّه ﷺ ، فَأْذَني له فَلْيُسَلِّمُ عليكِ وليُوَدِّعْك ، قالت : فأْذَنْ له إنْ شِئْتَ ، فأذِنَ له ،

---

(1) أحمد في المسند (١/٢٧٧) ، وابن سعد (٨/٧٥) ، وهو عند البخاري في التفسير مختصرًا (٤٧٥٣) .

فَدَخَل وَسَلَّمَ وجَلَسَ ، ثُمَّ قالَ : أَبْشِرِي يا أُمَّ المؤمنينَ ، واللَّهِ مَا بَيْنك وبينَ أنْ يذهبَ عنكِ كلّ أذًى ونصبٍ ووصبٍ وتَلْقِي الأَحِبَّة مُحَمَّدًا ﷺ وَحِزْبَه ، إلَّا أَنْ تُفَارِقَ الرُوحُ الجَسدَ ، قالت : هِيه وأيضًا ، فقال : إنْ كنتِ لأَحَبَّ أَزْواج رسولِ اللَّهِ ﷺ إليه ، ولَمْ يَكُنْ يُحِبُّ إلَّا طيبًا ، قالت : وأيضًا قال : وَأَنْزَلَ اللَّهُ بَراءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ فَلَيْسَ مَسْجدٌ فِي الأَرْضِ إلَّا وهو يُتْلَى فِيه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهَارِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[1] [النور : ١١]. قالت : وأيضًا قال : وسَقَطَت قِلادَتُكِ بالأَبْواءِ فَاحْتُبِسَ النبيُّ ﷺ والناسُ معه في ابْتِغَائِهَا

---

(١) القصة كاملة في البخاري في التفسير (٤٧٥٠).

وطَلَبِهَا حتّى أَصْبَحَ القَوْمُ عَلَى غير مَاءٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة : ٦] ، فكَانَت رُخْصَةً عَامَّةً لِلنَّاسِ بِسَبَبِكِ إلى يومِ القيامَة[١] . فَوَالذِي لَا إلَه إلَّا هُوَ إنَّكَ لمُبارَكة فَأَجْهَشت وقالت : « دَعْني مِنْ هذا يا ابن عَبَّاس ، والذي لَا إلَه إلَّا هُوَ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا » . تَنَاست كُل فَضَائِلَهَا أَمَام قُوَّة اسْتَحْضَارِ الحَيَاةِ الآخرةِ في قَلْبِهَا وخَشْيَتِهَا لِلَّهِ تعالى ، وكذلكَ يكونُ رسوخُ اليقِين وقُوةُ الإيمانِ بِرَبِّ العالمينَ . وهذا ابنُ مَسْعُود الذي قالَ فيه النبيُّ ﷺ : « **الغُلَيِّمُ المُعَلَّم** »[٢] .

---

(١) البخاري (٤٦٠٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٩/١) ، وابن حبان (٧٠٦١) ، وأبو يعلى =

يقولُ : والذي لَا إِلَه إلَّا هُوَ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَنْقلِبُ رَوْثَة ثُمَّ أُدْعَى عبد اللَّهِ رَوْثَة وَأَنَّ اللَّه غَفَرَ لِي ذَنْبًا وَاحِدًا[1] .

فَبَادِر وَلَا تَغْتَر وَاحْمد اللَّه فَلَه المِنَّة ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٧]

يَا رَبّ أَنْتَ المُرَجَّى ، أَنْتَ العَزِيزُ القَدِيرُ ، يَا رَبّ أَنْتَ المُجِيرُ ، قَدْ مَسَّنَا ما يَضِيرُ ، فَلَا تِكِلْنا لِنَفْسٍ فِيهَا تَمَادَى الغُرُورُ .

= (٥٠٦٩)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/٥٣٧)، وقال عنه الذهبي في السير (١/٤٦٥) : هذا حديث صحيح الإسناد .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٢٨٨) ، والحاكم (٣/ ٣١٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٥٠٤) رقم (٨٤٨) ، وانظر سير أعلام النبلاء (١/٤٩٥) .

بَادِر أَخِيرًا قَبلَ أَنْ تُبَادَر وَاسْتَعِن بِمَوْلَاكَ يُعِنْكَ مَوْلَاكَ .

قال أَحَدُ السَّلف لِتِلْمِيذِه : مَا تَصْنعُ للشَّيطَان إِنْ سَوَّلَ لَك الخَطَايَا ؟ قال : أُجَاهِدُه ، قالَ : فإنَ عَادَ قال : أُجَاهِده . قال : فَإِنَ عَادَ ، قال : أُجَاهِدُه ، قال : الأَمْرُ بِكَ يَطُولُ ، أَرَأيتَ إِنْ مَررتَ بِغَنمٍ فَنَبَحكَ كَلْبُهَا وَمَنَعكَ العُبور مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أُجَاهِدُه على العُبُور ، قالَ : فَإِنْ لَمْ تَسْتَطَع العُبُور ، قال : أُجَاهِدُه ، قالَ : فإِنْ لَمْ تَستَطِع ، قالَ : أُجَاهِدُه ، قالَ : الأَمْرُ بِكَ يَطُولُ ، اسَتَعِنْ بِصَاحِب الغَنَم يَكُفُّ عَنْكَ كَلْبَه : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّـهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦] .

أَقْسَمَ الشَّيْطَانُ قال : سَوْفَ لَا أَتْرُكُكُم إِلَّا شَقِيًّا أَوْ شَقِيَّة .

يقول أحدُ السَّلف : رأيتُ كلَّ أحدٍ له عدو ، مَن اغْتَابني فَلَيْسَ بعَدُوي ، ومَن أخذ مِنِّي شيئًا فَلَيْسَ بعدوي ، عدوي مَن إذَا كُنتُ في طَاعَةِ اللَّهِ أَمَرَني بمَعْصِيَةِ اللَّه ، حتَّى إذا مَا زَلَلْتُ في مَعْصيةِ اللَّه آيَسَني مِنْ رَحْمةِ اللَّهِ ، إنَّه إبْليسُ وأعوانهُ مِنْ شياطينِ الجنِّ والإنسِ قدْ قَطَعَ العهدَ : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦، ١٧] ، فَالْبَس لَأْمَةَ الحَرْب وَجَرِّد السَّيْف مِنَ الغِمْد وَأَخْرِج سِهَامَك مِن كِنَانَتِهَا واتَّخِذْ مَوْقِفًا في صَفِّ جُنْدِ

الرَّحْمَن وَابْدأ المَعْرَكَة مع إبْلِيس وأعْوَانه واسْتَعِن بمَوْلَاك يُعِنكَ مَوْلَاكَ .

ذَهَبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ تَقُولُ عَسَى ، وَأَرْجُو ، رُبَّمَا المَاءُ عِنْدَكَ قَدْ طَمَى ، وَلَمْ تَزلْ تَشكُو الظَّمَا .

بادِر قَبْل أَنْ تُبادَر وقِف بالبابِ وأنتَ الذَّليل الحَقِير واضْرَع إلى العَليِّ الكَبير تضَرُّعَ الأَسير بقَلْبٍ كَسير وَقُلْ يا إلَه العَالَمِين يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِين ، عَبْدُكَ أَسِيرُ خَطَايَا صَاحبُ الهَفَواتِ والرَّزَايَا واقِفٌ ببَابِكَ يَنْتَظِرُ رَحْمَتَكَ ، الخَيْرُ دَأْبُك ، والحُكْمُ حُكْمكَ وأنتَ أرْحَم الرَّاحِمينَ ، هذه نَاصِيتي الكَاذِبَة الخَاطِئَة بينَ يَدَيْكَ لَا مَلْجأ وَلَا مَنْجَا مِنْك إلَّا إليكَ ، أسألكَ مَسْألة المِسْكِين وأبتهلُ إليك ابتهال الخاضع الذليل وأسألك سؤال الخَائف

الضَّرِير ، سُؤالَ مَنْ خَضَعَت لَكَ رَقَبَتُه ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفه وَفَاضَت لَك عَيْنَاهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِر لَنَا قَبْل أَنْ تَشْهَد الأَعْضَاءُ والجَوَارِح وتَبْدُو السَوْءَات والفَضَائِح يَا رَبّ مَنْ لِلبَائِس الفَقِير غَيرُ الكَرِيم المَالِك القَدِير ، فَحَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ المُلتجَى ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ المُرْتَجَى .

* * *

ثُمَّ الصَّلاةُ ما تغنَّي الشَّادِي
على مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الهَادِي
ما هَتَفَتْ وَرقاءُ بالنِّيَاحِ
وَغَرَّد القُمْرِيُّ في الصَّبَاحِ
[الرجز]

وسُبْحَانَكَ اللهُمَّ وبحمْدك ، أشهدُ أنْ لَا إله إلَّا أنتَ ، أستغفرُكَ وأتُوبُ إليكَ .

* * *

كمبيوتر : ربيع محمود – ت : ٤٧٥٠٠٨٠